University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الرابع عشر - فبراير 2017

إشكالية الموت في الطرح الفلسفي

* د. إبراهيم حسين إبراهيم الشريف.

(عضو هيئة التدريس بقسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة بنغازي - ليبيا)

إشكالية الموت في الطرح الفلسفي

المستخـــــلص

ديمقراطية الموت إشكالية جعلت العقل الإنساني يتأمل ذاته في دهشة مشوبة بالتعجب حيال إحساسه بقتراب هذه الحقيقة (الموت).

لكنه رغم حقيقة ما يشعر به يحاول على الدوام أن يجعل الموت جزءاً من الحياة.

فالموت وسيلة لتوضيح الحدود بين ما هو إنساني وما هو إلهي – وكيف له أن يتصور ذلك دون أن يدفع ثمن إدراكه ووعيه وحياته .

- **المقدمـــــة:**

يصاب العقل الإنساني بالشلل الفكري ، عندما يحاول استخراج مشكلة من إشكالية ، الموت إشكالية تثير مشاكل كثيرة على مستوى الفلسفة.

ولا يبدو أن عقل الإنسان توصل إلى تسوية مع إشكالية الموت ليحسم المشاكل المنبثقة عنه ، أي هناك أزمة للعقل في التوصل لفهم لغز الموت وإيجاد تسوية معه فالموت يعتبر إشكالية ومشكلة * في الوقت ذاته ، لأن العقل الإنساني يعجز عن الإلمام بكل خفاياه ، فهي بالنسبة له إشكالية ليس لها حل ، بينما يفكر فيها كمشكلة يمكن إيجاد حل لها بمحاولة فهمها بقدر ما تتيح إمكانياته إدراك فهم الموت وأسبابه والدافع وراء وصول الإنسان إلى مرحلة لا يستطيع معها الاستمرار في الحياة رغم رغبته في مواصلة الحياة ، حتى ولو كان يقترب من الموت شيئا فشيئاً.

فتفكيره في الموت أحد المدركات العقلية تجعل الحياة أكثر عبء عليه والداعمة إلى الرغبة الملحة لفهم الموت.

ولم يكن بدءاً من المر أن يداعب الإنسان هذه الأمنية وأن يترجم بها غريزة طلب البقاء المتأصلة في نفسه ، والتي يدل عمقها في النفوس البشرية على إنها للبقاء خلقت.

- **إشكالية الموت كمشكلة:**

تكمن المشكلة الحقيقية للموت في الأثر النفسي لسماع كلمة الموت لتطرح في ذهن السامع تساؤلات عديدة يحاول من تحليلها وتفسيرها الإجابة : هل يعني الموت بالنسبة له مشكلة أم إشكالية ؟

هل تكمن في كوني أموت ؟ أم أني أبحث في الموت بوصفة معنى عاماً مجرداً لهذا يجب أن نميز أو لا بين إشكال وبين مشكلة ؟

فالإشكال : صفة تطلق على شئ يحتوي في داخل ذاته على تناقض ، وعلى تقابل في الاتجاهات، وعلى تعارض عملي.

فالموت على سبيل المثال بالنسبة للمرء يحتوي في داخل ذاته على تناقض ، بمعني إني على دراية إن الموت لابد أن يقع يوما ما . هذا يقيني لا سبيل مطلقاً إلى الشك فيه ، ولكنني من ناحية أخرى في جهل مطلق. وفي هـذا المعنى يقـــول **" بسكال":** إنني في حالة جهل تام بكل شئ فكل ما أعرفه هو أنني لابد أن أموت يوما ما ، ولكنني أجهل كل الجهل هذا الموت الذي لا أستطيع تجنبه [1].

أما المشكلة: شعور بالألم الذي يحدثه التعرض والتناقض كما يُحدث في الموت باعتبارها شيئاً يحاول القضاء عليه ، وبهذا يجب تتبع هذه الإشكالية كما هي في ذاتها أولاً، ثم محاولة تفسيرها تفسيراً يصدر عن طبيعة الشئ المشكلة وجوهره **فكان المشكلة تتضمن إذن شيئين: الشعور بالإشكال، ومحاولة تفسير هذا الإشكال.**

الشعور بالإشكال في الموت يتصف بفعل قضاء على فعل ، وأنه نهاية للحياة بمعنى مشترك :" فقد تكون هذه النهاية بمعنى انتهاء الإمكانيات وبلوغها حد النضج والكمال ، كما يقال عن ثمرة من

---

* **الإشكالية**: مأزق منطقي لقضية ما يصعب إيجاد حل لها لصعوبة المصطلح أو المفهوم الرامي إلى تفسير وتحليل المعنى ، تكمن الصعوبة في هرمية وغموض المصطلح وحمله أكثر من معني.
المشكلة: قضية ذات دلالات ومفاهيم واضحة ، يمكن تفسيرها وتحليلها وإيجاد حل لها حسب نوع القضية وأبعادها وملابساته.

الثمار إنها بلغت نهايتها، بمعنى تمام نضجها واستفاد إمكانيات نموها ، وقد تكون هذه النهاية بمعنى وقف الإمكانيات عند حد ، وقطعها عند درجة مع بقاء كثير من الإمكانيات غير متحقق بعد.[2]

وهكذا نرى أن الموت ، سواء من الناحية الوجودية أو من ناحية المعرفة كله إشكال ، ومن هنا توجد الإشكالية.

إذن متى يكون الموت مشكلة؟ يكون مشكلة حينما يشعر الإنسان شعوراً قوياً واضحاً بهذا الإشكال، وحينما يحيا هذا الإشكال في نفسه بطريقة عميقة، وحينما ينظر المرء في أموته كما هو وباعتباره إشكالية هذه، يحاول أن ينفذ على سره العميق ومعناه الدقيق باعتباره ذاته المستقلة ، وهذا كله يقتضى أشياء من الناحية الذاتية ، وأخرى من الناحية الموضوعية.

" فمن الناحية الذاتية يقتضي بالنسبة لمن يمكن أن يصير الموت عنده مشكلة الشعور بالشخصية والذاتية أولا" ، لأنه بدون هذا الشعور لا يستطيع الإنسان إدراك الطابع الأصلي الجوهري للموت ، وهو أنه شخص صرف، ولا سبيل إلى إدراكه إدراكاً حقيقياً إلا باعتبار أنه موتي أنا الخاص ، ولذا نجد أنه كلما كان الشعور بالشخصية أقوي وأوضح، كان الإنسان أقدر على إدراك الموت ، وبالتالي على أن يكون الموت عند مشكلة [3].

من هنا يتضح الفرق بين الشعور بالمشكلة وإدراكها ، فالأمر متوقف على شخصية الإنسان في ذاته، الموت لا يمكن أن يكون مشكلة بالنسبة إلى من يكون ضعيف الشعور بالشخصية كالبدائي والساذج، لأن ضعيف الشعور بالشخصية ، لا يقدر معنى الحياة ولا قيمتها بالنسبة له ، لذا لا يمكن أن يشكل الموت له مشكلة لأن نظرية للوجود سطحية وبلا مغزاه واللحظة التي يبدأ فيها الموت بأن يكون مشكلة بالنسبة إلى إنسان ما، هي اللحظة التي تؤذن بان هذا الإنسان قد بلغ درجة قوية من الشعور بالشخصية ، وبالتالي قد بدأ يتحضر.

والناحية الموضوعية نقصد بها إدراك أن الوجود يقتضي بطبيعته التناهي ، حتى يمكن أن ينظر إلى الموت نظره حقيقية باعتبار أنه عنصر مكون في الوجود ،وإلا فإن الموت لن يكون له إذن مكان داخل نظره الإنسان إلى الوجود ، وإنما سيكون شيئاً عرضياً يمكن إغفاله ، وهذا هو السبب في أن الذين نظروا إلى الموت هذه النظرة لم يستطيعوا أن يضعوا المشكلة الحقيقية للموت [4].

وعلى راس هؤلاء أفلاطون الذي رأي :" الفلسفة تأمل للموت "

لكن آرائه فهمت على غير ما قيل ، فهو لم يقصد أن يجعل من الموت موضوعاً رئيسياً للتفكير الفلسفي ، ولم يشير إلى ذلك كموضوع رئيسي للفلسفة إنما الذي يرمي إليه بهذا القول: أن الموت هو الوسيلة التي بها يتيسر بعد ذلك للفيلسوف أن يفكر جيداً[5].

وذلك لأن حياة الفيلسوف عند أفلاطون هي حياة متجهة دائماً إلى تأمل الصور أو المثل ، ولا يتيسر تأمل الصور تأملاً حقيقياً مادامت النفس سجينه في البدن ، فلابد من الخلاص من البدن – أي لابد من الموت – حتى يكون في مقدور المرء أن يتأمل الصور دون أن يشوه عليه التأمل فكأن الموت في نظر أفلاطون جسر ومعبر ينتقل بنا من حياة النفس في البدن على حياة النفس في عالم الصور ، وهو ابتداء أولى ولن يكون نهاية لأنه ابتداء للحياة الروحية حياة النفس حياة تأمل للصور ، هو على وجه العموم باب يفتح على الأبدية ، فلا يمكن إذن لمن ينظر إلى الموت هذه النظرة أن يجعل منه مشكلة .

هذا أعلى أنواع النظر إلى الموت وأكثرها أحساس بالشعور بالحياة وقيمتها .

لهذا يعدُ الموت جزءاً من الحياة كما أشار كل من **نتيشه وزمل ، فقد قال نيتشه :" حذار أن نقول إن الموت مضاد للحياة ، ولكن كيف السبيل إلى جعل الموت جزءاً من الحياة** [6].

وهذا يعطي انطباع أن يفسر الموت بالحياة ، وأن تفسر الحياة بدورها بالموت ، **لهذا يقول زمل Simmel إن الحياة تقتضي بطبيعتها الموت ، وما هو حي هو وحدة الذي يموت ، وما الموت إلا حد للحياة هو الصورة التي تلبسها الحياة وتحمها بعد ذلك ، وهذه الصورة لا توجد في اللحظة الخيرة فحسب بل توجد في كل لحظة من لحظات الحياة** [(7)].

فالموت عنصر جوهري في الوجود ، فحيث يكون وجود ، يكون بالضرورة موت ، وبهذا المعني وحدة يجب أن يفهم الموت.

- **هل الموت عقاباً أم نعمة إنسانية:**

في خضم الأحداث التي تعرضت لها الإنسانية سواء كانت من فعل الإنسان نفسه أم بفعل الطبيعة ، أيقن الإنسان أنه يعيش في عالم نفي عنه القدسية ، ولكنه يظل تحت حكم إلهي صالح قادر قدرة مطلقة ، ويري الباحث إنه عبر التاريخ لم تحدث تغييرات عميقة في ثقافة الغرب خلال الخمسة والعشرين عاما" المنصرمة فإن الإله الصالح المطلق القدرة قد أختفي بالنسبة لكل غرض عملي واقعي. وأصبح الإنسان وحيداً في العالم وحراً في أن يسعى لكل ما يختاره من أهداف.

ما معني ذلك ؟

بمعني كيف يمارس الرب حكمة في عالم نسيطر نحن عليه سيطرة لا منازع لنا فيها ؟ الإجابة وجدناه في كتاب التوراة في سفر التكوين عند نبي يهود في قصة خلق أدم وحواء ومالها من أبعاد فلسفية وعلمية تتعلق بحياتنا الراهنة ، وتفهم الغاية من موتنا الإنساني وتعلقنا بالحظة العودة في صورة أرواح تسعي للخلود في عالم الديمومة الإلهي والقصة تقول: " يصنع الرب رجلاً من التراب ويتنفس فيه ليعطيه الحياة ثم يضعه في حديقة ، ولا يعطي الرد هذا الرجل اله وصيه واحدة فقال له أن يأكل من جميع شجر الجنة بحرية . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت (تكوين 17/16/2)*

وبعد ذلك فإن المرأة التي خلقها الرب ليس جيداً أن يكون آدم وحدة ، قد اقتربت منها الحية وحثتها على أن تأكل من الشجرة المحرمة مؤكده إنكما " لن تموتا بل الله عالم انه يوم تأكلان منه (ثمر الشجرة التي وسط الجنة) تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر (تكوين 3:5)*

لذلك طرد الله آدم وحواء من الجنة وعوقب الاثنان لعصيانهما بالأم الولادة لحواء ، ومشقة العمل لآدم وبحكم الموت ، ولكن الموت لم يكن مجرد عقابا ، فلقد وعدتهما الحية أنهما لن يموتا لأنهما سيكونا مثل الله يعرفان الخير والشر، وعدم الفناء، ومعرفة الخيروالشرهما على وجه التحديد ما يفرق الإلهي من الإنسان.

وقد كانت القضية في الجنة بسيطة: تحديد موقف من وضع قائم فقد كان للرجل والمرأة إما أن يحصلا على الأمرين معا فإن طرد الله لهما لم يكن إلا إعادة للوضع الأصلي إلى ما كان عليه وعلى أية حال فإنهما بعد ذلك قد حصلا الآن على معرفة الخير والشر.

ومن الواضح أن: " الرب لم يقم بأي إجراء واضح لمحو هذه المعرفة منهما ولاشك انه كان قادراً على أن يفعل غير ذلك ، فكان قادراً على أن ينزع شجرة المعرفة فيسمح لهما أن يعيشا إلى الأبد بلا وعي في ظلام الجهالة ، وكان لقرار الرب هذا نتيجتان خطيرتان ، أولاهما: أم الفناء أو الموت ،

---

* التوراة ، سفر التكوين :17/6/2
* التوراة ، سفر التكوين 5:3

وإن كان عقابا ، إلا أن الأهم أنه يجب أن يفهم على انه الحقيقة التي لا تنحل ولا ترفع من الوجود الإنساني ، والتي تفصل إلى الأبد بين ما هو إنساني وما هو إلهي : فهو تذكرة دائما بأننا مخلوقات ولسنا خالقين ، أما النتيجة الثانية فهي أننا مازلنا نمتلك معرفة الخير والشر ، فلم يتضمن العقاب حرماننا من هذه المعرفة [8].

صحيح إن الإنسان اكتسب معرفة ، ولكنه اكتسب موت أيضا بجانب ذلك وحتى المعرفة التي جعلته يضحى بالخلود ، ولم تكن معرفة بكل شئ فهي ناقصة ومحدودة ورغم قولنا إن أي محاولة لتجاوز هذه الحدود يجب أن تعتبر أدعاء للألوهية من جانب الإنسان ، فهو كلام مردود على الإنسان نفسه ، لأن الأديان جميعها ، والجهود العقلية للإنسان مهما وصلت من قدرة ، فهي غير قادرة على ماهو خاص بالله.

لقد قذف بأمنا حواء وأبانا آدم من اللازمان إلى داخل إطار الزمن :" وبدلاً من أن يجعلها بلا موت قد جعلهما تاريخيين وأصحاب معرفة ، ولابد أن يظلا دائما في حالة تجول تشدهما إلى الإمام دائما رؤية المستقبل لا يستطيعاً أن يختتماه ولا أن يجعلاه حاضرا بينما يتبعها ماضي يتغير معناه تغيرا دائما . لقد عاشا في الجنة في خلود ولكن في لا وعي أما خارج الجنة فعليهما أن يعيشا بين التذكر والأمل [9] ، وهذه الحالة العامة لبني البشر ، وكان يبين لنا إن الموت وسيلة توضيح الحدود بين ما هو إنساني وما هو إلهي.

- **الموت ظاهرة طبيعية:**

هنا إجماع عام بين الفلاسفة والعلماء على أن الموت والحياة ظاهرة طبيعية مسلم بها كالليل والنهار، والشمس والقمر كل منهما يكمل الآخر كسائر المخلوقات ذكر وأنثي ، وأن العقل الإنساني لا يجزم بغير ذلك .

إلا أن الأمر يتخذ منحه مغاير عندما يحاول الإنسان بمقاييس المنطق العقلي تناول إشكالية الموت والحياة بالنسبة لمن هم على قيد الحياة ويستبدل العلاج بالتخدير.

بمعني إن المتحدث عن الموت ليس كالذي تجرع كأس الموت وهذا هو مكمن الإشكالية عندما نفسر الموت ونحلله.

لذا عمل الفلاسفة والعلماء على فهم الموت وتفسيره بمنطق سيد الخلق (محمد ﷺ) عندما سئل عن موعد يوم القيامة ، فقال :" ليس المسئول بأعلم من السائل ". لأن ليس الذي جرب كالذي سمع ورأي ما يضع إشكالية الموت موضوع الغموض والتشويش في ذهن الإنسان وعقله.

فإشكالية مفهوم الموت شغلت جانباً غير قليل من تفكير الفلاسفة والمفكرين ، فصدرت تأملات ميتافيزيقية وآراء فلسفية واجتهادات فكرية شتى عبر التاريخ الفكري الطويل للإنسان. وعولجت المسألة بكثير من التوسع ، على ضوء المشاكل والقضايا التي طرحت جراء وصف الموت ، على الرغم من أن الوعي بالموت موضوع قديم ، فقد انشغلت البشرية – خلال تاريخها كله بالموت ، فقد استخدمت الفلسفة والدين والعلم جميعاً في محاولة لفهم الموت والتحكم فيه أو السيطرة عليه ، ومع ذلك فالموت حتمي لا مهرب منه ، وهذه المعرفة تحدد جانباً كبيراً من نظرتنا إلى الحياة .

إن الحقيقة المجردة بأننا كائنات منتهية فانية، وأمامنا فقط عمر محدد يجعل للحياة طعماً ومعنى، فإذا كنا خالدين فلن يكون هناك سبب للطموح والأمل والكفاح ومحاولة اكتساب حياتنا معني إن عدم إيمان الإنسان الداخلي وبالأخص الغربي بعدم تقبل أنه يغادر الحياة أوبأصح الدنيا وترك كل ما فعل فيها من ثمار دانية قطوفها ، والذهاب إلى عالم الخلود فكرة لا يستطيع رغم أظهار إيمانه الشديد بالله أنها

مستساغة بسبب تعلقه الشديد بالحياة الدنيا ، فهو يرغب في خلود ابدي في الدنيا ، ولا يرغب في خلود أزلي في حياة يخاف عواقبها ، ويجهل ما فيه رغم الامتيازات التي تبينها الأديان السماوية بحلول الإنسان ومغادرته عبر بوابة الحياة إلى دار الخلود الأزلي.

وللأسف أن الإنسان يجهل أن الموت ليس صفة تضاف إليه ، بل هي متحدة معه وتشكل ماهيته، وهذا ما يجعل الإنسان كائناً محكوماً بموته. **لهذا قال ابيقور في جملة مشهورة: "إذا كنا، لا يكون الموت ، وإذا كان الموت لا نكون"**(10).

والفاصل ، حسب هذه النظرة بين الحياة والموت هو فاصل مطلق لا يمكن لأي تجربة أن تعبرة فكل ما يدخل في تجربتنا لأبد أن يكون في مسار الحياة وسياقها ، ولابد لنا أن تكون على جانبيه ، فنتوقعه ، ونتذكره وندرجة في سياق مألوف ، ولكننا بالنسبة للموت لا يمكن أن نكون إلا على جانب منه فقط **لذلك قال فتجنشتين: "أننا لا نستطيع أن نمارس أو نجرب موتنا ، كما إننا لا نستطيع أن نمارس أو نجرب نهاية مجال بصرنا"**(11) .

يعني فنجتشتين إننا لا نجرب الموت ، عندما تنتهي الحياة ، ومع ذلك أن الموت أمر هام لتجربنا بمعني إذا لم يكن هناك موت أو إذا لم يكن للحياة حدود لا يمكن تجاوزها فإن هذا يعني أنه ليس هناك تجربة على الإطلاق فلو عشنا طويلا فإننا نكون قد جربنا كل شيء وعند ذلك فإن شيء سيكون حينئذ لاشيء ، فكل ما ليس له حدود وليس له مقاومة لا يمكن أن يكون موضوع تجربة ، فإننا حينئذ نصبر من خلاله دون أن يحركنا أو يغير فينا شيئا ، أي أننا لن نلحظ شيئاً.

وليس اختيار الحياة في مواجهة الموت بالأمر الهين . فالموت هو في آخر الأمر صاحب قوة ، فهو موجهة ولا يمكن التوصل إلى تسوية أو مساومة معه فالموت سمة طبيعية في مسار التاريخ المقدر وهو عامل من العوامل الرئيسية المحركة للطبيعة البشرية ، ومن الواضح أنه نتيجة لعجزنا بالنسبة لهذا العامل فإننا لا نستطيع أن نقابل الموت بشروطه . فإذا كان الموت يستخدم ضعف البدن فلن نكسب المعركة معه بتقوية البدن.

فهناك وجهة نظر ترى بتسليم الجسد للموت ، وأن نذهب بالحياة إلى مكان آخر- إلى الذهن أو ربما إلى الروح أو إلى ما هو الكل المطلق . فلا يجب أن نظر إلى الموت على أنه يحطم كل معنى في الوجود الإنساني ، بل يجب أن ننظر إليه على أنه دعوة لحياة جديدة .وارتفاع بالفكر لرؤية مختلفة للفناء المزعوم في عقول بعض الناس فإن كل من لا يتعمق بالنظر ولا يفكر كثيراً في النهاية ، فإنه في الحقيقة ضعيف التفكير ولن يجد في الحياة معني كبيراً.

وعلى هذا فمضمون الرؤية إلى الموت على أنه توقف للاتصال أو عدمه ليس بالمضمون الذي ينتزع عن الحياة معناها بل أنه المغزى الذي يجعل امتلاء الحياة بالمعنى ممكنا.

فالموت لا يمكن أن يكون أمراً مخيفاً للإنسان الذي يعيش مفكراً بعمق ، لأن الإنسان على قناعة تامة وفهم بأنه دائم التطلع للموت طول حياته . ومن غير المعقول إذن أن يضطرب عندما يقدم الشيء الذي كان لأمد طويل يُعد نفسه له ويتوقعه.

- **كيف نستقبل الموت:**

يري الفلاسفة إن إعداد وتدريب النفس لحدث أخير ونهائي لن يكون تجربة مخيفة بل على العكس سيكون تعبيرا عن حياة قد أحسن ضبطها وتنظيمها ، ومن كان تدريبية جيداً فلن يهمه الأمر كثيراً عندما تجئ هذه اللحظة ، بل في الحقيقة فإن الأشخاص الذين أحسنوا تدريبهم وارتفعوا بمستوى توقعهم فهم يعيشون وكأن اللحظة النهائية قد جاءت عليهم بالفعل .

"وسقراط يشير إلى أن الانشغال بالفلسفة يعد الإنسان لمقابلة الموت في أية لحظة ، وعندما يأتي الموت فلن يكون ذلك موضوعا له أهمية للفيلسوف الحق"[12].

لهذا لم يئبه إلى حكم المحكمة عليه بالإعدام، فقد لفت نظر المحلفين قبل أن ينطقوا بالحكم على أنهم مخطئون إذا ظنوا أن أي إنسان له قدر من القيمة أن يمضي وقته في النظر في احتمالات الحياة والموت فإن عليه عندما يؤدى أي أن ينظر في إذا كان ما عمله صوابا أو خطأ.

ويري سقراط أن الفلسفة طريق العبور إلى فهم الحقيقة الموصلة إلى إدراك الموت وعدم الخوف منه ، بل والعمل على بلوغة لأنه نقلة إلى منزلة أرقي وأعلى للروح التي لا تقبل الانقسام ، لهذا فإن الموت نفسه لن يحطمها وهي لن تتغير حتى في الموت لأنها تتخط الفناء الزمني الدنيوي وهذا لا يتأت إلا ببلوغ النظر الفلسفية ، والتي هي بمثابة اكتمال الرؤية التي تجعل الإنسان يرتفع ببصرية عن الزمن ، ويري إن الموت هدف يسعى إليه الإنسان في أية لحظة.

لهذا يضع سقراط القضية بشكل أكثر وضوحا فيقول :" الفلاسفة الحقيقيون يجعلون الموت مهنة لهم [13].

وحتى يكون استقبال الإنسان للموت أكثر وضوحاً يجب أن نفرق بين الروح والبدن تلك الجواهر المختلفة التي لا يمتزج الواحد منها بالآخر على الإطلاق .فالجوهر البسيط يتكون من عنصر واحد وبذلك فإنه لا ينقسم ولا يمكن أن ينحل أجزاء أصغر ، والشيء البسيط لا يخضع للتغير فلا يمكن أن يضاف إليه شيء أو أن ينزع عنه شيء ، ومن البديهي أن المركب يخضع دائما للتغير.

وأفلاطون يري :" أن هناك اتصال مباشر بين ما هو إنساني وما هو إلهي عن طريق الروح. وهذا الاتصال هو في الحقيقة ما يكون حياة الروح رغم الموت وما يضمن خلودها . فالروح خالدها لأنها تشارك في عالم الأفكار الخالد [14].

ويعقب سقراط على أن المعرفة لذة الروح سابقة على الوجود وهي قبلية قبل اندماج الروح بالجسد ، وكما يقول سقراط: "فإن الروح لا تستطيع أن تعرف الجمال إلا أنها قد سبق لها أن عرفته ولا يستطيع الروح إلا أن تشرع في التشبه بالمعرفة حتى تصبح في جوهرها مشابهه لها تماما. كما سبق أن رأينا فإن التشابه والتوحد الوثيق بين المعرفة الخالدة وبين الروح يجرد الروح من أي خصائص شخصية" [15].

وهنا تحليل الروح والجسد عند أفلاطون على درجة دقيقة في التفسير مفاده أن الروح يتوصل وجودها بالضرورة بعد الموت. وهي لا تستطيع أن تختار أن تموت . كما أن الكيان العضوي لابد له بالنسبة للعالم أن يتشتت عند الموت ولا يستطع أن يختار أن يبقي حيا فلأحدها نري الحياة عارضة ولا تعتبر الحياة لأي منها اختياراً محصنا.

والجدير بالذكر هنا إن عامل الموت ليس شيئا خارجاً عن المادة يوجهها في هذا الاتجاه أو ذاك ولكنه هو نفس طبيعة المادة ذاتها، لهذا عليك أن تترك الموت يمتلك مستقبلك وعش أنت في الحاضر، فالموت لا مفر منه وعلى الرغم من نظره أبيقور المادة الصرفة، وعدم إيمانه بوجود الآلة إلا أن قوله: " فليحذر المرء من الطموح ومن السعي وراء أهدافه ، فلاشيء يقنع الرجل الذي لا يقنعه القليل"[16].

لهو دلالات عميقة على فكر الإنسان وطموحة الذي لا ينتهي، فيجب أن يكون الإنسان معتدل الطموح والرغبات حتى ينافس رغبات نفسه للوصول للسعادة، فيجب على المرء أن يعلم الايحاول تجنب الموت، لأنه قد يأتي في أي لحظة ليسرق كل أمل لنا ، فتمسك الإنسان الشديد بالحياة وعدم ذكره الموت يجعل حياته وكأنها ليست حياة ،فهي في الواقع نوع من الموت الحي الذي وصفناه بأنه حزن دائماً وترقب دائماً.

أن الحقيقة التي تطرح تراكمات نفسها بقوة على الإنسان عبر تاريخ وجود قلقة الدائم من الموت، وهذا يرجع إلى تراكمات ذهنية مختزلة في عقلة الباطن حول طبيعة الموت وملابساته ، فقد نشأت تصورات خاطئة عبر مسيرة حياته تفيد بأن هناك حياة أبدية بها من العذاب والألم ملاعين رآه ، ولا أذن سمعت، ولاخطر على بال بشر. وقد نمت هذه المخاوف من نوع من التفكير الذي أفترض أن طبيعة الأشياء ذات لا نظام خاص جوهري يجعلنا مسئولون عن أفعالنا وبذلك علينا أن ندفع ثمن ما نجترحه من أعمال وأقوال وأفعال، وبلغت الأمم كثير في وصف العذاب والعقاب ومنها فلسفة العصور الوسطي والفلسفة المسيحية على وجه التحديد ، مما جعل كثير من أصحاب العقول النيرة من حكماء وفلاسفة العمل على تغيير هذه الصورة بإبعاد الفزع القائم في نفوس العباد تجاه خالقهم بحب وأمل ، بدلاً من التشاؤم والخوف وقلق الإنسان الدائم من المستقبل وما يخفيه له من مفاجئات والتقليل من التسأل الدائم لله في السر والعلنية لماذا الموت ؟! لأن الإجابة بكل سهولة : تلك هي إرادته.

- الخـاتمة:

لم تتوصل الإنسانية إلى فهم إشكالية الموت لعجزها عن الإلمام بكل خفاياه – إلا أنه على دراية تامة أن الموت يشعرنا بقيمة الحياة ، فالموت أحد مكونات هذا الوجود ، وهو يذكرنا دائما بأننا مخلوقات ولسنا خالقين . فالموت بالنسبة لنا كبشر ظاهرة طبيعية أو ينبغي أن يكون كذلك ، فهي تجربة غير قابلة للإعادة وهنا مكمن الإشكالية عندما نتأمل الموت تجعلنا نصاب بالجمود الفكري إزاء هذا السهل الممتنع الذي نراه في كل الكائنات ولا سبيل إلى إيقـــافه ، لأننا لا نستطيـــع أن نمـارس أو نجرب موتنا .

فالموت كما يبدو صاحب قوة . قوة موجهة لا يمكن المساومة معه لهذا يجب أن ننظر إليه على أنه دعوة لحياة جديدة .

- الهـوامش:

1-عبد الرحمن بدوي : مشكلة الموت ، ملخص رسالة الماجستير بالفرنسية بعنوان Leprobleme de la Mort Dans la Philosophie Existentielle نشر للمرة الأولي في مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد ، مايو 1942م ، المجلد السادس الجزء الأول ، ص 6.

2- عبد الرحمن بدوي : مشكلة الموت ، مرجع سبق ذكره ، ص 6.

3- المرجع نفسه ، ص 8.

4- جاك شورون : الموت في الفكر الغربي ، ترجمة : كامل يوسف حسين مراجعة وتقديم : إمام عبدالفتاح إمام ، سلسلة عام المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلسي الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت العدد 76 ، إبريل 1983 ، ص 55.

5- بول لاند سبيرج : تجربة الموت ، باريس 1833، ص 18.

6- عبد الرحمن بدوي : مشكلة الموت ، مرجع سبق ذكره ، ص17.

7- المرجع نفسه، ص 17.

8- التوراة ، سفر التكوين :17./16/2

9- التوراة ، سفر التكوين 5:3.

10- جاك شورون : الموت في الفكر الغربي، مرجع سبق ذكر ، ص 223.

11- المرجع السابق ، ص 224.

12- جيمن ، ب ، كارس ، الموت والوجود ، دراسة لتصورات الفناء الإنساني في التراث الديني والفلسفي العالمي ، ترجمة : بدر الديب ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 1998، ص 2.

13- جيمن ، ب ، كارس ، الموت والوجود ، مرجع سابق ، ص 2.

14- المرجع السابق ، ص 20.

15-المرجع السابق ، ص 20.

16- المرجع السابق ، ص 82.